ملامح المنهج التربوي

عند الإمام علي عليه السلام

الشيخ الدكتور

جون حنون علي العتابي

(كلية الشيخ الطوسي الجامعة)

ملامح المنهج التربوي عند الإمام علي (ع)

الشيخ الدكتور: جون حنون على العتابى
(كلية الشيخ الطوسي الجامعة)

مقدمة

إن تراث أهل البيت (عليهم السلام) مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإنسانية، وقد قدم هذا التراث المعرفي الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية لمشاكل الإنسان والحياة في مختلف المجالات، ومن أهم الموضوعات التي احتواها هذا التراث هو المنهج التربوي و النفسي الذي تأطر برؤية واقعية تستند إلى فهم الطبيعة البشرية و خوالج النفوس المؤثرة فيها سلباً وإيجابا.

وللإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الريادة في هذا الباب بسبب ذلك الثراء والارتباط المباشر بمصدر الأحكام والرؤى الواقعية، أعني بذلك القران الكريم ومدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد حاول علماء التربية وعلماء النفس ان يجدوا أفضل السبل الموصلة الى أكمل النتائج في دراساتهم وتجاربهم في مضمار التربية والتعليم وقواعد السلوك الاجتماعي، غير اننا نجد اختلافاً كبيراً في النتائج، وبمقدار هذا الاختلاف والتعدد للنظريات

التربوية والنفسية فقد أمست فيما بعد تعبر عن مدارس لها مناهجهاً وتصوراتها ورؤاها.
وإزاء ذلك يقف منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ يرى أن التربية لابد لها من أساس عقيدي، ونبع تغترف منه يعين المربين على سلوك الطريق المستقيم، ومصدر تهتدي به لتحدد أهدافها وتعيَّن وسائل الوصول إلى هذه الأهداف، وغني عن البيان ان هذا الأساس العقيدي، وذلك النبع الفياض والمصدر الملهم قائم في كتاب الله عز وجل وسنة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) يضاف إلى ذلك فان خبرة الحياة وحركة الدنيا مصدر هام لابد من حسن التعامل معه.
هذه هي الأطر المؤثرة في العملية التربوية بشكلها العام التي حددها الإمام علي (عليه السلام)، وفي ضوء هذه الأفكار تدور محاور البحث.
...ومن الله نستمد العون والسداد....
الباحث

تمهيد

إن الناظر إلى الواقع المعاصر لأغلب المجتمعات الإسلامية، لابد أن تفزعه الصورة التي أصبحت عليها من التخلف العلمي

والحضاري،وليس من المعقول بأي حالٍ من الأحوال أن تجتمع بين أيدينا تلك الثروة الفكرية العظيمة من كتاب وسنة وأعمال فكرية وتراث علمي كبير وجدناها في كتاب نهج البلاغة وكلمات وأقوال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، دون أن تستنهضنا لتجاوز واقعنا المعاصر بكل ما يحمله من مرارة،وبالتأمل في قوله تعالى (**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**)[1] نجد أن

الإسلام حاول أن يضع للإنسان منهجاً تربوياً تغييرياً يُشعره فيه بالمسؤولية العامة عن حياة الإنسان من خلال مفاهيم ورؤى الشريعة الواسعة الممتدة في كل مجالات الحياة.

إن المنطق يدعونا للاستجابة والاقتناع بالعودة إلى التراث والايدولوجيا الإسلامية، ومن أهم معالمه ذلك الوعي والمنهج التربوي العميق الذي احتوته الرسالة المنقذة الخالدة وحدد معالمه الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، وفي طليعتهم الإمام علي (عليه السلام).

ولا بد قبل الشروع ببحث ذلك من الوقوف على أهم مميزات النظام التربوي الإسلامي.

---

١ . سورة الرعد، ١١.

مميزات النظام التربوي الإسلامي:

تمتاز التربية في الإسلام بأنها ذات حس ديني معنوي، وهي تتفوق على غيرها من ضروب التربية الأرضية البعيدة عن إشعاع السماء من حيث علاقتها بالعالم الغيبي وواقعيتها لتجاوبها مع الفطرة البشرية، وطبيعتها العلمية من حيث إنها – من وجهة نظر الإسلام – سلوك عملي ملموس قبل أن تكون نظرية مسطورة في الكتب، وتمتاز كذلك بدعوتها إلى الأخلاق الرفيعة.. فهي تمتاز بنقاوة مفرداتها من شوائب الأفكار الدخيلة والوافدة،هذا والإسلام يؤمن بان التربية تلازم كل المجالات الحياتية المتنوعة ولا تنفك عنها بأي حال من الأحوال، وهذه سمة تفضي إلى تفوق النظام التربوي في الإسلام على غيره من النظم[1].

لقد اهتم الإسلام بالتربية بدرجة أن قدمها على التعليم، مع عدم تغافله عن أهميته، فقد قال تعالى: «**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**»[2]،

---

١ . الدكتور علي شريعتمداري، التربية والتعليم في الإسلام، ترجمة علي هاشم،نشر مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ١٤١٥ ه، ص٦.

٢ . سورة آل عمران / ١٦٤.

فالإسلام يؤكد على التربية اولاً ثم التعليم، لأن البعد التربوي في المجتمع بدائرته الوسيعة أهم من البعد التعليمي.

إن النظام الفكري الإسلامي لا يشبه الأنظمة الأخرى، ذلك انه ليس نظاماً هجيناً ترقيعياً فهو ذو بعد تربوي بميزات معينة، فلا الفرد وحده هو المحور ولا المجتمع، وللحرية فيه معنى منسجم مع الحس الإنساني الرفيع، وفي رحاب الحرية نفسها يكون الفرد مكلفاً مسؤولاً وتضمن مصالحه عندما لا تتزاحم مع المصالح الاجتماعية العامة على نحو من التنازع أو التعارض.

وتمتاز التربية الإسلامية بأنها صالحة للتطبيق على جميع أفراد النوع الإنساني لكمالها المطلق وشموليتها في معالجة الشخصية الإنسانية، بخلاف تلك النظريات التي غالباً ما تكون مبتورة، فالتربية الإلهية بما تتصف به من الكمال وعدم تأثرها بعامل الزمان والمكان تنسجم مع طبيعة الإنسان وحاجاته بمقدار الحاجة والضرورة مثلما تراعي البعد المعنوي فيه[1].

---

١ . التربية والتعليم في الإسلام، ص٤١.

أهداف التربية في الإسلام:

١- الإيمان:

في مقدمة قواعد التربية التي رسمها الإسلام أن توجد عملياتها التربوية القدوة الحسنة والمثل الأعلى للخير والصلاح[١].

ولا يتم إيجاد هذه القدوة الحسنة في المجتمع إلا من خلال الإيمان العملي، فإذا كان الإيمان بالله يضع أيدينا على معرفة المصدر الأول الذي صدر عنه الوجود الممكن، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بمصير الوجود ويضع أيدينا على النهاية التي ينتهي إليها الكون، فأن الإيمان وحده لا يكفي لتحقيق الارتباط بالله سبحانه بصيغته الصالحة، لأن ذلك يرتبط بطريقة إشباع فطرة الإنسان وأسلوب الاستفادة منها كما هي الحال في كل طاقات الإنسان وقواه واستعداداته الفطرية، فان التصرف السليم في إشباعها هو الذي يحقق المصلحة النهائية للإنسان، كما أن السلوك على وفق الفطرة أو ضدها هو الذي ينمي تلك الفطرة ويعمقها أو يضمرها ويخنقها، ومن هنا كان لابد للإيمان بالله والشعور العميق بالتطلع نحو الغيب

---

١ . باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام،بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٧، ص٨٣.

والانشداد المطلق إليه من توجيه يحدد طريقة إشباع هذا الشعور، ومن سلوك عملي يرسخه ويعمقه على نحو يتناسب مع سائر المشاعر الأصيلة للإنسان، وبدون توجيه قد ينقلب هذا الشعور ويمنى بألوان الانحراف كما وقع ذلك بالنسبة إلى الشعور الديني غير الموجه في أكثر مراحل التاريخ، وبدون سلوك موجه ومعمق قد يزول هذا الشعور ولا يعود الارتباط بالله والإيمان بهِ حقيقة فاعلة في حياة الإنسان وقادرة على تفجير طاقاته وإمكاناته الصالحة[1].

إن الإيمان بالله هو الهدف التربوي الأساس للرسالة الإسلامية، قال تعالى **«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ»**.[2]

فالإيمان بالله يحول دون انحراف الفرد والجماعة بنحو يبعث على الاطمئنان والابتعاد عن الظلم والهوى والنزوات الزائفة والروح الأنانية.

٢- التقوى:

التقوى هدف تربوي جوهري، وهي حالة وقائية يكون فيها الإنسان مسيطراً على نزواته وأهوائه

---

١ . محمد باقر الصدر: موجز في أصول الدين، مطابع صوت الخليج، د.ت، ص٨٨.

٢ . الذاريات / ٥٦.

النفسانية مبعدا نفسه عن كل ما لا يليق بإنسانيته قال تعالى «**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ**».[1]

إن النظام التربوي الإسلامي لا ينظر في تمييزه للإفراد على أساس الفوارق المادية والعرقية والمهنية التي ابتدعها الإنسان، بل على أسس وموازين حددتها السماء، قال تعالى «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**».[2]

فالتقوى والقرب من الله هي الميزان في منظور الإسلام، وهي التطبيق العملي لروح الإيمان والزاد المصحوب الذي لا ينفد، قال تعالى: «**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**».[3]

يقول الإمام علي (عليه السلام): (فان التقوى مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو

---

١ . التوبة / ١٠٩.
٢ . الحجرات / ١٣.
٣ . البقرة / ١٩٧.

الهارب وتنال الرغائب)[1]، ويوصي الناس فيقول: (أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها الزمام والقوام، فتمسكوا بوثاقها، واعتصموا بحقائقها، توَّل بكم إلى اكنان الدّعة وأركان السّعة، ومعاقل الحرز، ومنازل العز).[2]

ويقول (عليه السلام) في خطبة أخرى (فان تقوى الله دواء داءِ قلوبكم، وبَصرُ عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فسادِ صدوركم، وطهور دنسَ أنفسكم، وجلاءِ عشا أبصاركم)[3].

وهكذا فان من شأن الإيمان بالله وتقواه أن يوصلا الإنسان إلى حالة الكمال والإيمان بالحياة الأخرى، وهكذا يحدد النظام التربوي الإسلامي مسارات الفرد ليجعله فاعلاً في حياته الدنيا غير منقطع عن حياته الأبدية الآخرة بجعل الأولى مقدمة لها، لا كما عليه المناهج والأنظمة التربوية العلمانية التي تحدد حياة الإنسان في المسافة الواقعة بين الإخصاب والموت، فان الحياة المؤقتة لا تتلاءم مع العقل والطموح نحو

---

١ . نهج البلاغة، خطبة ٢٢٨.
٢ . نهج البلاغة، خطبة ١٩٣.
٣ . في ظلال نهج البلاغة ج٣ ص٢.

الكمال في الإنسان، وكذلك فإنها لا تتماشى مع أهدافه الأخلاقية والمعنوية بالنسبة إلى الآخرين والى خالق الكون.

إن القول بالحياة المؤقتة يقلص من حافز السعي لدى الإنسان ويصور له الحياة حالة من العبثية ويجعله يشعر بالقلق وعدم الثبات، وحالة التراخي وضعف الأمل، في حين يدعو الإمام علي (عليه السلام) الإنسان قائلاً: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)[1].

أما الإيمان بعالم الغيب والاعتقاد بان وجودنا من الله تعالى، وأننا كادحون إليه فملاقوه، فهذا يهب حياة الإنسان حركتها ويمنحها صفتها السرمدية الخالدة، قال تعالى:«**يأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ**»[2] ، وفي ظل هذا التوجه يصبح للحياة الإنسانية معنى وغاية يحفزان الإنسان نحو الجد والسعي لبلوغ حالة الكمال.

٣- الدعوةإلى العدل:

العدل من الدعائم الأصيلة للحياة الإنسانية، والمجتمع الذي يسوده الظلم والإجحاف هو

---

١ . في ظلال نهج البلاغة ج٣ ص١٢٨.

٢ . سورة الانشقاق: ٦.

مجتمع تنعدم فيه الإنسانية، وهو احد أهم المبادئ التي قام عليها الإسلام. ولذا فان أرقى مهمة رفع شعارها الأنبياء هي العمل على تربية المجتمعات البشرية وإنقاذ الناس من الجهل والظلم والاستبداد.

والعمل على إصلاح النوع الإنساني – أفراداً ومجتمعات – على ضوء ما استفادوه من الهدي الإلهي.

قال تعالى: «**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ.....**»[1].

ويقول تعالى: «**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**»[2] إن إرساء قواعد ومفاهيم العدالة في

المجتمعات من الأهداف التي احتواها المنهج التربوي الإسلامي،من اجل خلق مجتمع يرفض مهادنة الباطل على حساب الحق، ويهدف إلى صيانة الحقوق الاجتماعية على أسس ومقاييس حقيقية.

وفي كلام الإمام علي (عليه السلام) حول العدل يمكن استنتاج مفهوم كامل وتعريف شامل للعدالة منه، وهو: (انه سُئل (عليه السلام)، أيهما

---

١ . سورة الحديد /٢٥.
٢ . سورة النساء / ٥٦.

أفضل: العدل أم الجود ؟ فقال (عليه السلام): العدلُ يضعُ الأمور مواضعها، والجودُ يُخرجها عن جهتها، والعدل سائس عام، والجودُ عارض خاص، فالعدلُ أشرفهما وأفضلهما)[1]، وهذا ينطبق على التعريف المشهور للعدل وهو «وضع كل شيء فيما وضع له».[2]

ولعل أهم مقومات العدل في المجتمع هو الحاكم العادل،مهما كان هذا الحاكم، قال تعالى: «**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**»[3] وقد حدد الإمام علي (عليه السلام) صورة الحاكم وصفاته فقال: (وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام، وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نُهمتُهُ،ولا الجاهل فيضلهم بجهلهِ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائهِ والحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في

---

١ . نهج البلاغة – الخطبة ١٦٤.
٢ . خليل رزق، مجتمع العدالة في نهج البلاغة، بيروت، دار الولاء، ٢٠٠١، ص١٧.
٣ . سورة ص٢٦.

الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطَّل للسَّنة فيهُلك الأمة)[1].

٤- الحرية:

يرى أمير المؤمنين (عليه السلام) إن الحرية قضية أصيلة في حياة الإنسان، يقول: (لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً)، إذ لا يمكن للإنسان أن يمتلك ويستمتع بحياته وثمرات عمله ما دام يرزح تحت نير العبودية على مختلف مفاهيمها.والحرية في المنظور الإسلامي حرية مقيدة بقيود عدة من أبرزها إنها لا تتعارض مع المصالح العامة ولا تتجاوز الأحكام الشرعية والقواعد الاجتماعية العامة،ومن ثم فهي فضاء إنساني لا إفراط فيه ولا تفريط يعطي الإنسان القدرة على الخلق والإبداع.

مبادئ المنهج التربوي عند الإمام علي (ع):

إن الإمام (عليه السلام) وهو أب ومربي هذه الأمة بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نظر إلى أفضل الطرق والوسائل التي تنمي حياة المجتمع الإسلامي وترتفع بها إلى ذروة الرفاهية والوفرة والأمن، فأوضح وبين أهم مبادئ وقواعد التربية من خلال خطبه

---

١ . نهج البلاغة: الكتاب ١٤٦.

وكتبه وحكمه القصيرة، ومن يتتبع تراثه العظيم يستطيع ان يلمس ملامح هذا المنهج وتشخيص تلك المبادئ التي يمكن لنا ان نحددها بالأبعاد الآتية، لنشكل منها الأسس التي شخصها الإمام (عليه السلام):

١-البعدالعقلي:

إن العقل هو احد أهم مرتكزات العملية التربوية، وقد أبرزته النصوص الدينية الإسلامية بكل وضوح ودعمته بشكل كبير.

يقول الإمام علي(عليه السلام): (كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيِّك مِن رُشدك)[١] فالعقل هو الدليل إلى الغي والى الرشاد في الوقت نفسه، ويقول (عليه السلام) (العقلُ حسام قاطع)[٢].

إن قابلية الإنسان على الإدراك وتمييز الأشياء، وعقد المفارقات والتنبؤ والتوقع تدخل ضمن دائرة البعد العقلي.بل ان إنسانية الإنسان مرتبطة بقدرته العقلية فيشخص مشاكله، ويحدد المثل والقيم، ويحسن علاقاته مع الآخرين، لذا فكل نظام يعتمد العقل يستطيع أن يخطو خطوات أفضل على طريق الرقي والتطور الإنساني ومن ثم فان قابليات الفرد منوطة بقدرته العقلية

---

١ . نهج البلاغة: حكمة ٤١٥.
٢ . نهج البلاغة: حكمة ٤٢٤.

ومستوى الذكاء لديه، وكذلك فان تقدم وتطور أي مجتمع منوط بانتهاجه المذهب العقلي، وتأثير عقلائه ونفوذهم فيه.

إن العقل الذي نعنيه ليس فقط العقل في حدوده المعرفية الضيقة، إنما العقل المقصود هو العقل الاستدلالي الذي لا يقبل الفكرة دون بحث ولا يؤمن بعقيدة ما لم يكن لها برهان، ليكون هذا العقل الواعي ضماناً للحرية الفكرية وعاصماً للإنسان من التفريط فيها بدافع التقليد أو التعصب أو الركون الى الخرافة، وفي الواقع ان هذا جزء من معركة الإسلام لتحرير المحتوى الداخلي للإنسان، فهو كما حرر الإرادة الإنسانية من عبودية الشهوات كذلك حرر الوعي الإنساني من عبودية التقليد، وبهذا وذاك أصبحَ حراً في تفكيره وحراً في إراداته.[1]

ولذا نجد الإمام أمير المؤمنين يصف العقل بأنه ولادة إنسانية تكوينية وهبها الله تعالى للإنسان ليضفي عليه إنسانيته. فيقول (عليه السلام): (العقلُ ولادة، والعلمُ إفادة)[2]، ثم يقول مشيراً إلى

---

١ . محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنية، بيروت، دار الزهراء، ١٩٥٨ ص١٢٦.

٢ . النهج البلاغة: حكمة ٢٥٨.

حالة التأثر بالوسط الجاهل: (مَنْ صحبَ جاهلاً نقصَ عقلهُ)[1].

والنقطة المهمة هنا هي طبيعة العلاقة القائمة بين الدين والعقل، حيث يشكل الدين ركيزة أمينة للعقل، وهو الذي يحدُّ من انحرافاته، ويوجههُ في طريق المجتمع وصلاحه[2].

١- البعد الفطري:

لقد أبان الإمام (عليه السلام) ركيزتين أساسيتن لا قيام للتربية بدونهما: الفطرة الإنسانية اولاً وثانياً الميل الفطري لدى الإنسان إلى التقليد، والتربية عملية إنسانية بالدرجة الأولى، حيث خلق الله الإنسان قادراً على التعلم قابلاً بحكم ما في فطرته من مرونة وقدرة على التكيف.

والفطرة هي النية السليمة والنفس الصافية، مما يزرع الخير ويثمر الفضائل، أما غلبات الهوى وفتن الدنيا فتزرع الشرور[3].

وقد اجمع الباحثون والمحققون على ان للتربية في سن الطفولة دور كبير في بناء شخصية الإنسان وتكوين صفاته، لأنها كالأرض الخالية

---

١ . النهج: قصار الحكم

٢ . التربية والتعليم في الاسلام، مصدر سابق،ص٧٤.

٣ . الدكتور عباس نصر الله، جمهورية الحكمة في نهج البلاغة، بيروت، دار القارئ، ٢٠٠٦م، ص٢٠٢.

كما وصفها الإمام (عليه السلام) في وصيته لولده الإمام الحسن (عليه السلام) إذ يقول: «أيّ بني إني بادرت بوصيتي إليك، وأوردت خصالاً منها قبل ان يسبقني إليك بعض غلبات الهوى، وفتن الدنيا، فتكون كالصعب النفور، وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لُبك، فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته، وما خبث سقيه خبثَ غرسهُ، وأمرت ثمرتهُ»[1].

وفي هذه العبارات الخالدة يشخص الإمام (عليه السلام) حالة التزاحم بين الخير والشر على عقل الحدث، فان دخل الخير اولاً استقر وإن سبق الشر سيطر على حركات الانسان وأفعاله، ثم يصعب بعد ذلك ترويضه وتقويمه وأعادته الى الخير، ويصبح حينئذ كالفرس النفور الذي لا يقبل الترويض.

ويحدد الإمام عمق الصورة التربوية الحقيقية في المنظومة التربوية- التعليمية – حين يدعو إلى التبكير في طلب العلم والتأدب،في حكمته المشهورة: (التعلم في الصغر كالنقش في الحجر)، ويقول (عليه السلام): (فبادروا العلمَ قبل تصويح نبته ومن قبل أن تُشغلوا بأنفسكم

---

١ . نهج البلاغة، الرسالة ٣١.

عن مستثار لعلم من عندِ أهله)[1] (وتصويح نبته)

بمعنى يباس شجرة العلم والعبارة تحتمل معنيين:
أ - إن شجرة العلم في داخل الانسان تذوي وتيبس بمعنى إن قوى الإنسان الإدراكية تتجه نحو الركود، أو إن قواه تنشغل بأمور أخرى غير التعلم.
ب - أن يراد ركود العلم وفتور الحركة العلمية بموت العالم (المربي)[2]

ثم أن الإمام (عليه السلام) يلحظ الجانب التكويني والصفات والمؤهلات للفرد ويعدها احد أهم الأسباب المؤثرة في الجانب العلمي والتربوي.. يقول في وصيته لصاحبه كميل بن زياد: (إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها.)[3]

٣– البعد العاطفي:
إن حالات الخوف والغضب والكراهية والسرور والحزن، تدخل في دائرة هذا البعد من شخصية الإنسان، ولهذا البعد أهمية كبيرة لأسباب عدة، ذلك انه بعد معقد جداً لما له من أرضية

---

١ . نهج البلاغة: خطبة ١٠٥.
٢ . عبد المجيد زهادت، التربية والتعليم في نهج البلاغة، ترجمة الشيخ حسن النمر، مؤسسة أم القرى للتحقيق، ٢٠٠٥، ص ٤١.
٣ . نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

فسيولوجية وصلة حميمة مع الأرضية الاجتماعية، كما إن العواطف تدفع الإنسان نحو الجد والسعي بوصفها محفزات قوية والعكس صحيح.

وهنا تكمن مهمة المربي في تعليم المتعلم كيفية التعبير عن عواطفه والتحكم بها بوصفها محفزات قوية تطبع علاقات الناس فيما بينهم سلبا وإيجاباً.

ولذا فان باستطاعة المربي مدّ جسور المودة والألفة وخلق الأجواء المناسبة في داخل حلقات العلم والاجتماع، ومن ثم يمهد السبل للاتصال والإرشاد والنصح، ولذا ورد في مجالسة العلماء قول الإمام علي (عليه السلام): (مَن جالس العلماء وقر ومن خالط الأنذال حُقر).[1]

٤- البعد الاجتماعي:

يحظى البعد الاجتماعي لشخصية الإنسان، بأهمية خاصة كونه كائن اجتماعي بالطبع، فان إنسانيته تبع لهذا البعد في حياته إلى حد بعيد، ذلك أن اغلب انفعالات الإنسان وتوجهاته يخلقها الواقع الاجتماعي، أو لا اقل يكون له دور كبير فيها.

---

١ . محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي (ع)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٥، ص٤٣.

وقد نظر الإمام علي (عليه السلام) في التراث الحضاري للمجتمعات وركز على عاملين ثابتين في طبيعة الحركة البشرية وطبيعة الحياة على الأرض:

الأول: عامل التغيير والتقلب في الحياة: فالحياة بما هي حركة،وبما هي تفاعل وطاقات وقوى تتفاعل وتتكامل، فهي في حالة صيرورة دائمة لا تستقر على حال ولا تثبت على وتيرة واحدة.

الثاني: عامل الزمن،وهو الحاكم على الموجودات الأرضية بالتبدل والتغير والزوال وقد أدرك الانسان بعقله الوجه المأساوي لعمل هذين العاملين في الوجود، ووعيه لهذين العاملين يجعله قادراً على مواجهة الحياة ومباهجها المؤقتة.[1]

ومن خلال هذين العاملين تتبدل ثقافة وحضارة المجتمعات الإنسانية، وتمتد تأثيرات السابق إلى اللاحق منها، سلباً أو إيجابا. والذي يطالع كلام الإمام (عليه السلام) يلمس مدى الوعي بالدور الذي يجب أن يقوم به المربي من نقل لخبرات وتجارب الآخرين إلى الأجيال الجديدة، لا لنستوعبها كما هي، وإنما لتنتقي وتختار منها ما يعينها على سلامة المسير وعمق الفهم وسعة

---

١ . م.ن، ص٤٤.

الإحاطة بقوله لولده الإمام الحسن (عليه السلام): (أي بني، إني وان لم أكن عمرتُ عمرَ من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرتُ في آثارهم حتى عدتُ كأحدهم بل كأني بما انتهى إلى من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل شيء أمر نخيله وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك مجهولة، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك إن يكون ذلك وأنت مقبل العمر و مقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافيه)[1].

والإمام هنا مدرك لأهمية النظر في تجارب الماضيين والمعاصرين وفي تجارب الإنسان نفسه، إذ يوصله هذا الوعي التراكمي لديه إلى معرفة القيم الكامنة والخطأ والصواب.
فللتجارب دور أساسي في تأصيل المفاهيم والقيم والأعراف المطلوبة.[2] يقول (عليه السلام):

(العقلُ غريزة تربيها التجارب)[3] ويقول:

---

١ . نهج البلاغة: خطبة ٢٩٠.
٢ . سعيد كاظم العذاري، المنهج التربوي عند اهل البيت. قم، مطبعة ليلى، ١٤٢٧ هـ ص٢٠.
٣ . شرح نهج البلاغة ٢٠: ٣١٤.

(العاقل من وعظته التجارب)[1] ويقول: (في التجارب علم مستأنف، والاعتبار يفيدك الرشاد).[2]

٥- البعد العلمي والتطبيقي:

حرص الإمام (عليه السلام) على أن يوثق الصلة بين التربية النظرية والتربية التطبيقية ببيان أهمية العمل بما نعلم، ويظهر هذا فيما ورد بقوله: (الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كله حجة إلا ما عمل بهِ، والعمل كلهُ رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم به).[3]

أما الأثر الذي يتركه المربي والإمام في الناس فيعود الى شخص المربي بمقدار تطبيقه لعلمه يكون أثره في الآخرين، والإمام هنا يؤكد هذهِ القضية بقوله (عليه السلام): (من نصب نفسه اماما للناس فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه،ومعلم

---

١ . تصنيف غرر الحكم: ٤٤٤.
٢ . شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٢٥٩.
٣ . النهج حكمة ٣٦٦.

نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم).[1]

أما المنهج العلمي فقد وضحه الإمام بالعلم النافع بقوله: (وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم).[2]

وفي هذا بيان لعمق الخطورة التي تحيق بالإنسان من أول سنوات عمره وشبابه وعشوائية ما يكتسبه مما يحيط به، فحين اخبره والد الفرزدق بان ولده الفرزدق شاعرا يجيد قول الشعر فأمره الإمام بتعليمه القرآن إشارة منه إلى تعليمه العلم النافع المفيد،وهذا ما تؤكده أعمق النظريات الحديثة والمعاصرة في علم النفس التربوي والاجتماعي، وهو ما يجب أن ينتفع من مغزاه الثر في تهيئة استراتيجيات المؤسسات الثقافية والتربوية لبناء الخطط والمناهج التربوية الصحيحة.

والحمد لله رب العالمين.

---

١ . نهج البلاغة،ص٤٨٠.

٢ . نهج البلاغة: خطبة ١٩٣.